



خطبة صلاة الجمعة 31/7/2020 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(وجاء العيد)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1].

تسمي العرب كلَّ شيءٍ كثيرٍ في العددِ والقدرِ والخطَرِ كَوْثَرًا. قَالَ سُفْيَانُ: قِيلَ لِعَجُوزٍ رَجَعَ ابْنُهَا مِنَ السَّفَرِ: يَمْ أَبَ ابْنُكَ؟ قَالَتْ بِكَوْثَرٍ، أَيِّ بِمَالٍ كَثِيرٍ.

الْكَوْثَرُ: تَهَرُّ فِي الْجَنَّةِ، حَاقَتْهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَخَجَرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، ثَرَبَتْهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ. كما رواه الترمذي.

وقيل هو القرآن، وقيل الصلوات الخمس، وقيل الإسلام، وقيل كثرة الأتباع، وقيل غير ذلك.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ يعني صلاة العيد يوم النحر.

﴿وَانْحَرْ﴾ تُسَكِّكَ وأضحيتك، الأضحية الشاة التي تُذْبَح ضَحْوَةً، وَهِيَ سَمِّيَ يَوْمُ الْأَضْحَى، روت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَيُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرْوِهَا وَأُطْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطَيَّبُوا بِهَا نَفْسًا».

﴿إِنَّ شَاتِكَ هُوَ الْأَنْثَرُ﴾ [الكوثر: 3] أي إن مبغضك يا محمد هو المنقطع عن كل خير.

وذلك أن قُرَيْشًا كَانُوا يَقُولُونَ لِمَنْ مَاتَ ذُكُورٌ وَلَدِهِ: قَدْ بُتِرَ فُلَانٌ. فَلَمَّا مَاتَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَاؤُهُ؛ قَالُوا: بُتِرَ مُحَمَّدٌ، فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فنزلت هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: 90].

عنوان خطبة اليوم: (وجاء العيد)

أيها الإخوة:

الناس يفرحون بالعيد، ولكن كيف يفرح من كان مهموماً لطعام عياله أو لدواء ولده أو لشدائد دنياه؟!.

وما العيد إن لم يكن معه الأُنس ببلدك وأهلك وأصدقائك؟!.

وما العيد إن لم يكن معه راحة البال وصحة البدن وكفاية المال؟!.

وما العيد إن لم يكن فيه للنفس متعة وللقلب اطمئنان؟!.

إنه لا يبقى منه إلا رقم على صفحة التقويم.

اسمحوا لي أن أختار لكم قصة ذكرها الشيخ علي الطنطاوي في ذكرياته تناسب ما نحن فيه.

كان يوماً مسافراً إلى اندونيسيا، وجاء العيد وهو في جاكارتا وحيداً وعن أهله بعيداً، قد أصابه الضيق والكرب.

قال: خرجت من مكان إقامتي أمشي مهموماً، فبلغت حديقة لحظت أنها مرتع أطفال الأغنياء لما يبدو عليهم من آثار السرف والترف.

وكان على باب الحديقة عجوز قد أمال ظهرها ثقل ما حملت من كثرة السنين، وفي يدها طفلة كأنها الفلة المتفتحة جمالاً وطهرًا في ثياب قديمة لكنها نظيفة، وكانت تنظر إلى هذا العالم كأنه غريب عنها.

كان الأولاد يشترون أكف «الشوكلاطة» من بيع هناك، وكانت تنظر إليهم وهم يقشرون أوراقها ويأكلونها بعيون يلمع فيها بريق الرغبة المحرقة يعقبها خمود اليأس المرير، ثم غلبها الطمع فلكرت خصر جدتها العجوز بمرققها، حتى إذا التفتت إليها أشارت بغمزة من عينها وحركة سريعة من يدها إلى الشوكلاطة.

فتبسّمت الجدة بعينيها ولكن مقلتيها كانتا تبكيان بلا دموع، وقلّبت كفيها إشارة العجز والفقير.

فاشترى لها أكبر كَفٍّ من الشوكلاطة وذهبت فدفعته إليها، فنظرت إليّ نظرة المشدوه، ثم نظرت إلى جدتها كأنها تستنجد بها تسألها، فأشرق وجه العجوز بابتسامة كأنها إطلالة الشمس في يوم كثيف الغمام، وأسرعت البنت تجرّ جدتها تُسرّع بها، كأنها قطعة أعطيتها قطعة لحم فهي تسرع بها كأنما تخاف أن أندم فألحقها لأستردها منها.

لم أخسر من المال إلا القليل، ولكني ربحت من اللذة ما لا يعلمه إلا الله، ويعلمه من تيسر له عمل كهذا.

أحسست أن ما كان في قلبي من الضيق قد انفرج، وما كنت فيه من الكرب قد زال، وأنه رُفع المنظار الأسود عن عيني فرأيت بهاء الكون وبياض النهار.
ووجدت العيد!.

فيا أيها الإخوة:

إنّ أقرب طريق إلى سعادة القلب أن تُدخل السعادة على قلوب الناس، وإنّ أكبر اللذات هي لذة الإحسان.

فمن أراد منكم أن يجد العيد فسيجده على وجوه من يُوليهم الإحسان.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (13) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21) ﴾ [الليل: 5 - 21].

ولئن قال الله تعالى (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) فإن باذل الإحسان للآخرين سوف يرضى، قرّة عين في الدنيا وتواباً عميماً في الآخرة.

قال المفسرون: هذا وعد كريم للمحسن بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجلها.

ذكروا أن عبد الله بن عباس أتى الحسن والحسين رضوان الله عليهم فقال: إن أخي وأخاكما - يريد عبيد الله بن عباس - قد أسرع في ماله إسراعاً قد خفت على نفاده، وله صبيّة قد خفت أن يدعهم عالّة، وقد عاتبته في ذلك مراراً، ولا أراه يقلع ولا ينزع، وأرجو أن يكون لكما مطيعاً، وإن

قولكما عنده مقبولٌ، فلو عاتبتماه؟ فقالا: نفعل، فصارا إليه، فلما دخلا وجداه يطعم الناس، وإذا جزرٌ تنحر. فقال أحدهما لصاحبه: هذا بعض ما شكاه عبد الله. ثم صارا إليه، فاستقبلهما وأسهل لهما عن فراشه، ولقيهما بالإجلال والإعظام.

وقالا: أتيناك في حاجةٍ. فقال: الحوائج بعد الغداء، قالا: فهاته، فلما طعما وفرغا سألهما عن حاجتهما؟ فقالا: إن أخانا وأخاك عبد الله أتانا فسألنا معاتبك على إسرافك في مالك، وقد رأينا بعض ما شكاه، ولك بنون، ولسنا نأمن عليهم الضيعة بعدك. فقال: ما لقولكما عندي مردٌ، ولا لي عما تأمراني به مدفع، لكنني أخبركما بقصتي، وأردّ الأمر إليكما، فما أمرتاني به أتيته، وما نهيتماني عنه وقفت عنده. فقالا: هات.

فقال: إن الله تبارك وتعالى عودني عادة جميلة، فعودتها عباده، ولست آمن إن قطعت عادتي عن عباده أن يقطع عادته عني.

فقالا: لا نأمرك في هذا بشيءٍ. وقاما فانصرفا حامدين لأمره.

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيْ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ	فَلُجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
تَعَوَّدَ بَسَطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ	أَرَادَ انْقِبَاضاً لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ	لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

أيها الإخوة:

الجميل كاسمه، أوّل المنتفعين به الفاعلون له، فامنح غيرك معروفاً وأسد له جيلاً وقدم له إحساناً تجد الفرج والراحة.

أعط محروماً، انصر مظلوماً، أنقذ مكروباً، أطعم جائعاً، عذ مريضاً، أعن منكوباً، واس مصاباً، عزّ فاقداً؛ تجد الخير يغمرك من بين يديك ومن خلفك.

إنّ الإحسان للآخرين كالطبيب ينفع حامله وبائعه ومشتريه، وعوائد الإحسان عقاقير تشفي الهم والحزن بإذن الله.

فأعطوا الخير من أنفسكم وقدموا النفع لمن استطعتم، وبروا آباءكم وأبناءكم، وصلوا أرحامكم وجيرانكم، ومروا بالخير، وألقوا السلام على من عرفتم ومن لم تعرفوا، فإن الله خلق خلقاً من رحمته برحمته لرحمته، وهم الذين يقضون حوائج الناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن.

والحمد لله رب العالمين

